

مكة المكرمة في كتابات الرحالة المسلمين والأوروبيين

سمية محمد الشهري - باحثة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر - قسم التاريخ والحضارة - جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية .

المستخلص

تأتي كتب الرحالة والرحلات كأهم الوثائق والمصادر التاريخية التي تشكل إطاراً مرجعياً مهماً، في تدوين تاريخ مكة المكرمة، فهي تكشف في طياتها جوانب الحياة المختلفة في مكة المكرمة، وعند الاطلاع على ما حوته تلك الرحلات من مادة غزيرة تركز في الغالب على وصف السكان والنبات والحيوان والبيئة الطبيعية، لاقت مكة المكرمة عناية هؤلاء الرحالة بوصف مظاهر سطح الأرض وتضاريسها من جبال وهضاب وشعاب ووديان وتصف طرق المواصلات وتأثير الزمان والمكان على مسيرة الحجاج والمعتمرين، حيث تعصف بقوافلهم حالات الطقس الحارة، وتؤدي في بعض الأحيان لوفاة عدد منهم، إضافة للحالة الاجتماعية وطبيعة السكان، خاصة أن مكة المكرمة تعد ساحة التقاء، وتجمع لعادات وأفكار ولغات أجناس مختلفة عبر مر العصور.

Abstract

The traveler's books and trips come as the most important documents and historical sources that constitute an important frame of reference in codifying the history of Makkah, as they reveal the various aspects of life in Makkah Al-Mukarramah, and upon reviewing the abundant material contained in those trips, which focus mostly on describing the population, plants, animals and the environment Makkah Al-Mukarramah received the attention of these travelers by describing the features of the earth's surface and its terrain from mountains, plateaus, reefs and valleys, and describes the transportation routes and the effect of time and place on the march of pilgrims and pilgrims, as their convoys are ravaged by hot weather conditions, and sometimes lead to the death of a number of them, in addition to the social status and nature Residents, especially since Makkah is a meeting place for different customs, ideas and languages of different races.

الإطار المنهجي للدراسة:

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى وصف الأماكن المقدسة، ووصف المناخ والبيئة النباتية والحيوانية، إضافة إلى الحالة الاجتماعية، وما نتج عنها من تمازج الثقافات والعادات في مكة المكرمة.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة في كونها تتناول مكة المكرمة من خلال كتابات الرحالة العرب والأوروبيين، وإلقاء الضوء على ما سطره هؤلاء الرحالة من معلومات نظرا لاشتمالها على قدر كبير من القضايا والمعلومات عن المجتمعات بنظمها السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية.

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة منهج البحث التاريخي والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي وذلك من خلال تحليل المعلومات والتعقيب على ما يذكر من معلومات بغرض الوصول إلى نتائج علمية رصينة والتي من أهمها أهمية مكة عبر العصور، استقبال مكة للعديد من المجموعات السكانية من مختلف العالم، تطورت المدينة مع إزدياد أهميتها الدينية والاقتصادية الاجتماعية.

المقدمة:

موقع مكة المكرمة:

قدم إسماعيل عليه السلام إلى مكة وهو طفل في صحبة أمه وأبيه وقد كانت مكة في ذلك الحين أرض فلاة ينبت فيها السلم والسمر وهي أنواع من الأشجار التي تشتهر بها مكة في ذلك الوقت، وتتعدد روايات مؤرخي الإسلام في تفسير الظروف التي لابتست هجرة إسماعيل إلى مكة ونزوله فيها مع أمه وأبيه وهي فلاة لا تنبع فيها قطرة ماء ولكنهم يتفقون على أن إبراهيم عليه السلام ما كاد يودع إسماعيل هذه القفار حتى توجه يدعو الله: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ)، كما يتفق المؤرخون على أن اسماعيل عليه السلام. ما كاد يرهقه العطش حتى ظهر لأمه نبع زمزم هذا الماء المبارك إيذاناً بفجر جديد وتاريخ جديد لهذه البلدة المقدسة⁽¹⁾.

وقد كانت مكة المكرمة مسكن بعض الأنبياء وقبلتهم التي كانوا يحججون إليها وفيها نزل آخر الأديان السماوية، وهو الدين الإسلامي الحنيف، وفيها ولد أشرف الخلق محمد صلى الله عليه وسلم.

أسماء مكة المكرمة:

ولمكة المكرمة أسماء كثيرة جلييلة منها ما جرى ذكره في القرآن الكريم ومنها ما حفظته لنا كتب السير والتواريخ والمعاجم والبلدان، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى كما هو الشأن في أسماء الله الحسنى، وأسماء المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا يعلم بلد أكثر أسماء من مكة المكرمة، ثم المدينة المنورة، لكونهما أفضل بقاع الأرض⁽²⁾ ويرى ياقوت أنها سميت مكة من مك الثدي أي مصه، لقلة مائها فكانوا يمتكون الماء أي يستخرجونه، وقيل أنها تمك الذنوب أي تذهبها كما يمك الفصيل ضرع أمة فلا يبقى فيه

شيء،⁽³⁾ وذكرت في القران باسم مكة وبكة وأم القرى ويرى بعضهم أن مكة هي نفس بكة أبدلت فيها الميم باء على عادة أهل الجنوب، ويعتقد الدكتور جواد علي، ليست سوى لهجة من لهجات القبائل التي تبدل الميم باء⁽⁴⁾، وسميت البيت العتيق لأنه عتق من الجبابة⁽⁵⁾

موقع مكة:

تقع مكة المكرمة⁽⁶⁾ وسط الحجاز⁽⁷⁾ الذي يمتد من حدود اليمن جنوباً حتى أطراف وادي الشام شمالاً، ويفصل بين غور تهامة وهضبة نجد، بواد غير ذي زرع⁽⁸⁾، وتعتبر مكة جسراً يربط بين بلاد الشام وحوض البحر المتوسط باليمن والحبشة والصومال والسواحل المطلة على المحيط الهندي⁽⁹⁾. على دائرة عرض 19. 25. 26. درجة شمالاً، وخط طول 36. 49. 39. درجة غرباً حيث تقع في الجهة الشمالية للمنطقة المدارية وهي تمثل نقطة التقاء تهامة بالجبال التي تحيط بها من جميع الجهات، مما جعلها تتشكل من مجموعة من الأودية ومنافذها في اتجاه البحر من الجهة الغربية⁽¹⁰⁾. ومن أهم جبالها، جبل أبي قبيس وسمي بذلك نسبة إلى أول من نزله ويقع شرق مكة ويشرف على الصفا⁽¹¹⁾، وجبل قيعقان والذي يقع غرب مكة وهو الجبل الذي يواجه جبل أبي قبيس⁽¹²⁾، وجبال الصفا والمروة وهما نتجان في البطحاء بينهما وبين المسجد الحرام والصفا أنف بارز من جبل أبي قبيس والمروة أنف جبل قيعقان⁽¹³⁾ وغيرها من الجبال مثل أحياد وخدمة.

وتعد مكة أهم مركز ديني عند المسلمين وأهم مواضع الحضر في الحجاز على الإطلاق حيث أن موقعها على طريق القوافل العربية الجنوبية وشمالها، إضافة إلى موقعها الجغرافي المميز جعلها تتصل بالعالم الخارجي وتأخذ عنها أسباب الحضارة والرقي، هذه العوامل جعلت مكة تتبوأ مكانة تكاد تكون هي الأعظم، كما أدى موقعها دوراً رئيساً بارزاً في تطورها ونموها خلال تاريخها الطويل، لوقوعها في قلب العالم، والتي اسهمت في وجود الكثير من الفعاليات التي نهضت بمكة المكرمة إلى أعلى المراتب الدينية وعلى مر العصور.

مناخ مكة المكرمة:

أما فيما يختص بمناخ مكة المكرمة فهو حار جاف صيفاً، بدرجة حرارة بين 35 م° أكثر من 40 م° دافئ شتاً، بدرجة بين 18 م° 30 م°⁽¹⁴⁾، وقد وصفه المقدسي بقوله « يكون بالحرم حر عظيم وريح تقتل وذباب في غاية الكثرة »⁽¹⁵⁾ ويذكر القزويني أنه حار في الصيف جدا إلا أن ليلها طيب، وعرضها سعة الوادي وماؤها من السماء⁽¹⁶⁾ ويقصد بذلك قلة الموارد المائية في مكة فاعتمادها الكلي على مياه الأمطار، ويذكر الإصطخري « إن مكة ليس بها ماء جار إلا شيء بلغني بعد خروجي عنها أنه اجري إليها عين كان عمل فيها بعض الولاة... ومياهم من السماء وليس بها أبار تشرب وأطيبها بئر زمزم وليس بجميع مكة فيما علمته شجر مثمر إلا شجر

البادية فإذا جرت الحرم فهناك عيون وأبار وحوائط كثيرة ذات خضر ومزارع ونخيل أما الحرم فلم أرى ولم أسمع أن به شجرا مثمرا إلا نخيلات متفرقة»⁽¹⁷⁾ فمن خلال ذلك يتضح أن مناخ مكة الجاف وارتفاع درجة الحرارة أدى إلى قلة محاصيلها، وكان ذلك سببا بأن يعتمد المكيون على غيرهم في حياتهم المعيشية وفي أقواتهم هذا بالإضافة إلى أن الحجاج الذين يأتون لأداء فريضة الحج يضطرون إلى جلب ميرتهم معهم من بلادهم، وبذلك كانت المناطق المجاورة لمكة تمدها بكل ما تحتاج إليه من الخضر والبقول والفواكه خاصة منطقة الطائف⁽¹⁸⁾ ويصف البلادي أمطار مكة بقوله « مناخ مكة المشرفة أمطاره نادرة، لكنها عند الهطول تكون أحيانا على هيئة سيول⁽¹⁹⁾ » وذلك يعود لموقعها في واد بين جبال مما يجعل المياه تتجمع فيها. ، وكانت المناطق المنخفضة نسبيا تسمى بطحاء، وكل ما نزل عن الحرم يسمونه المسفلة، وما ارتفع عنه يسمونه المعلاة⁽²⁰⁾.

لكن المتتبع لكتابات بعض الرحالة المغاربة على أجواء مكة منذ بداية دخولهم إليها، تتضمن الشكوى من هذه الظاهرة المناخية، حيث قال ابن ناصر: «وهذه المرحلة والتي قبلها يشد فيها الحر» وقال الإسحاقى في وصف حرارة الوادي « وفيها وادي النار، وهو كالمضاف إليه في الاستعار، هبت به ريح حارة لفتحت الوجوه⁽²¹⁾ » وغيرهم الكثير وربما أن درجة الحرارة كانت مرتفعة في مكة دائما من وجهة نظر الرحالة المغاربة، لأنهم يقارنون بين مناخ مكة ومناخ البلدان التي أتوا منها. ورغم مناخها القاري الحار إلا أن مكة تميزت باجتذابها هجرات من افاق العالم الاسلامي، وكان لذلك أثر كبير في تركيبها السكانية، إذ أن تدفق جموع الناس سنويا في موسم الحج والعمرة واستقرار بعض العائلات فيها، كان بسبب وجود البيت الحرام، فلولا وجوده ما أمكن تصور ازدهار ونمو مدينة مكة في تلك الأراضي القاحلة « بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ »⁽²²⁾ فنجد هنا أنها تحققت دعوة ابراهيم عليه السلام لهذه المدينة المباركة « فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارزُقُهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ »⁽²³⁾.

المأكل في مكة المكرمة:

اما من ناحية المأكل فيها فقد تحدث المقدسي عن طبيعتها في الجزيرة العربية، عندما ذكر ان الناس فيها يتقوتون باليسير من الطعام، وأن معيشتهم تعتمد بشكل رئيسي على التمر⁽²⁴⁾، ومن ناحية أخرى بين المقدسي اعتماد أهل مكة على اللحوم المجففة من ذبائح أيام النحر كنوع من الغذاء في فترة زمنية محددة⁽²⁵⁾، ونرى أن تجفيفهم للحوم نتيجة لكثرتها في أيام النحر فيلجأون لحفظها عن طريق التجفيف. يلاحظ مما ذكره المقدسي الى تنوع المأكل في مكة، ويظهر من ذلك تحسن الأحوال المعيشية فيها ونتيجة لاختلاط العرب بعناصر مختلفة، فاتجه الناس الى تذوق بعض المأكلات الجديدة وفضلوا بعضها منها ونتيجة لتعدد المأكلات في مكة اتجه الناس الى تذوق المأكلات الجديدة وفضلوا بعضها منها، فهناك طعام يسمى «أفروشة» وهو مكون

من الدقيق والسمن من مدينة بيار في طبرستان⁽²⁶⁾ الى الحجاز، وكذلك الثريدة وهي مكونة من خبز مهشم مبلول بماء اللحم وهناك أنواع من الثريد⁽²⁷⁾ وهناك أنواع عديدة من اللحوم التي تؤكل في الحجاز، لحوم الشياه والوعول البرية والجمال، وقليل من الدجاج البلدي⁽²⁸⁾ ويذكر ابن جبير « واما لحوم ضأنها فهناك العجب العجيب، إنها أطيب لحم يؤكل في الدنيا وما ذاك -والله اعلم- إلا لبركة مراعيها »⁽²⁹⁾ وتتمتع مكة برخص المعيشة، فاللحوم والخضروات متوفرة، لا يرتفع ثمنها الا في موسم الحج⁽³⁰⁾ ويعود سبب رخص المعيشة إلى الرخاء الذي عاشته في هذه الفترة، ونزول الأمطار فيها، لأن في بعض الفترات عم مكة غلاء عظيم بسبب القحط الذي اشتد فيها، والذي أدى إلى ارتفاع أسعار المواد التموينية⁽³¹⁾ وارتفاعها نتيجة لنشاط الحركة التجارية في موسم الحج، فمن المؤكد أن الحج له آثار اقتصادية على اهل مكة، فالحج ملتقى تجاري بين اهل مكة وغيرهم من الحجاج. وأدى الحج إلى توسع التجارة في مكة عندما قصدها الكثير من المسلمين والتجار، فكان السوق فيها يتكون من عدة حوانيت متقاربة، وكانت حوانيت أصحاب كل مهنة متجاورة فمثلا الجزارين كانت لها في العادة حوانيت متقاربة، وأشار بعض الرحالة إلى الأسواق المنتشرة في مكة وخاصة المنطقة المحيطة بالمسجد الحرام بقوله « وإليه الأسواق من الشرق والجنوب » وتأكد لما ذكره الرحالة بأن الأسواق كانت تحيط بالمسجد الحرام عندما تطرق لذكر أسماء أبواب المسجد الحرام، فهذا دلالة واضحة لوجود أسواق حول الحرم، كما أشار المقدسي وهو يتحدث عن المشاهد بمكة إلى أبرز سوقين، شرق المسجد الحرام وهما سوق البزارين وسوق العطارين⁽³²⁾ وعلى ذكر الأسواق بمكة أشار الرحالة إلى أنها تشتهر بإنتاج السنا المكي والفواكه التي تجلب من الطائف إلى أسواق مكة بالإضافة إلى الملابس والثياب التي تجلب من مصر والتي كان لها سوق خاص بمكة المكرمة، وذكر المقدسي أن ميناء جدة كان المصدر الرئيسي لتمويل الأسواق المكية حتى أنه وصف بخزنة مكة المكرمة⁽³³⁾ ونظرا لكثرة الحججاج كما يذكر ابن جبير فقد أقيمت بمكة أسواق متخصصة للشوام وللمصريين وللمغاربة وللأفارقة وللأفغان مع وجود أسواق مشتركة⁽³⁴⁾

ونتيجة لقدوم الحججاج واستقرار بعضهم نتج عن ذلك تفنن المكيين في اعداد الطعام على الطرق العربية والهندية والشامية والمصرية والتركية، ويتفاخرون بكثرة الأطعمة ويقلد صغيروهم كبيرهم في التظاهر بالكرم لاسيما في رمضان⁽³⁵⁾. وامتدح ابن جبير في الأطعمة البطيخ بمكة، فوصفها بوصف رائع بقوله « حللنا هذه البلاد المباركة ففيها بعض النعم والفواكه والتين والعين، ومن أعجب ما اختبرناه من فواكهها البطيخ والسفرجل، وكل فواكهها عجب، لكن للبطيخ فيها خاصة من الفضل عجيبة وذلك لأن رائحته أعطر الروائح فتجد رائحته العطرة قد سبقت إليك، فيكاد يشغلك الاستمتاع بطيب رياه عن أكلك إياه حتى خيل إليك أنه خلط بسكر مذاب أوجنى النحل »⁽³⁶⁾ وكان استهلاك أهل مكة لبعض الفواكه مثل البطيخ على نطاق واسع وهذا الأمر يمكن

تفسيره لشدة ارتفاع درجة الحرارة في مكة، والبطيخ كما هو معروف يبرد جسم الإنسان ومن ثم فالإقبال عليه كبير، وقد أورد المراد أبادي احصائية مفادها أن سوق مكة قد دخله في يوم من الأيام «مائة وخمسة وسبعون» حمل بعير من البطيخ وقد بيع البطيخ كله قبل حلول المساء⁽³⁷⁾. وفواكه مكة كما يذكر الإدريسي تجلب إليها من الطائف التي يصفها بالمدينة المتحضرة والتي يضرب المثل بجودة بغالها⁽³⁸⁾ كذلك يذكر الاصطخري: «والطائف مدينة صغيرة نحو وادي القرى إلا أن أكثر ثمارها الزبيب»⁽³⁹⁾ أما الأشربة التي تشتهر بها مكة المكرمة فهي تلائم جوها الحار، وكان هناك أنواع من الأشربة تصنع في الشتاء منها السوق المصنوعة من الحنط والشعير والسكر وشراب التمر والزبيب⁽⁴⁰⁾ لوفرتها وسهولة الحصول عليها. ويصف ابن جبير الحلوى كذلك بقوله «وأما الحلوى فتصنع من أنواع غريبة من العسل والسكر المعقود على صفات شتى، وفي الأشهر الثلاثة، رجب وشعبان ورمضان، ويتصل منها أسمطه بين الصفا والمروة، فلم يشهد أحد منظر أكمل منها»⁽⁴¹⁾.

ويذكر البيهقي أن عامة أهل مكة يأكلون اللحم والثريد، أما صورة الحياة الحديثة في المأكل فيمثلها خاصة القوم الذين يتكفون في حضرة الأغراب، ويجلسون على الكراسي، ويستخدمون الملاعق والشوك ويحرصون على عادة انتقلت لهم من نجد فما أن يمتلئ المجلس حتى يدور عليهم الخدم بالشاي والقهوة ومباخر يحرق فيها العود الزكي⁽⁴²⁾ نجد أن المجتمع المكي استطاع أن يصهر الكثير من اكلات هؤلاء في بوتقة مطبخه الخاص بنكهته المحلية، حتى غدا المطبخ المكي من أكثر المطابخ ثراءً وتنوعاً وإتقاناً ومعرفة لأغلب المأكولات وكيفية إعدادها. ولذا نجد في مكة المكرمة ما حواه المطبخ في العالم العربي والإسلامي، ويظهر من تنوع الأطعمة والمشروبات وتعدد أصنافها، ما نتجت عنه من تنوع أجناس المجتمع المكي، واختلاف عاداتهم وتقاليدهم.

الملبس في مكة المكرمة:

أما بالنسبة للملبس فمن المعروف عن أهل مكة الاهتمام البالغ بالتأنق في الملبس، وكانت تختلف باختلاف ظروفهم الاجتماعية وحظوظهم من الغنى أو الفقر، فكان أغنياؤهم يعنون بملابسهم أكثر من فقراهم⁽⁴³⁾ ويذكر المقدسي أن الثياب المنتشرة في مكة كانت القطنية» ويذكر أيضا مما يلبسه الرجال في الحجاز الجبة وهي مفصلة ومخيطة من الخز وتأتي بلونين الأسود والأبيض، كذلك من أنواع الألبسة في الحجاز عامة ومكة خاصة، ما ذكر لنا الرحالة المقدسي خلال رحلته لهذا الإقليم ويقول والرسوم في هذا الإقليم لبس الوزر والأزر بدون قميص الا القليل» ويبدو أن المقدسي في اشارته لهذا النوع دون غيره من الألبسة المعروفة آنذاك قد اقتصر على ما هو سائد ومشهور منها وهو الإزار، إضافة الى ذكر المقدسي ان الثياب المنتشرة في مكة كانت من النوع القطني ووجود سوق لها في مكة دليل على سعة انتشارها آنذاك في أوساط

المجتمع المكي⁽⁴⁴⁾

وأشار ابن بطوطة في سياق حديثه عن أهل مكة وفضائلهم إلى ملابسهم « وأهل مكة لهم ظرف ونظافة في الملابس، وأكثر ملابسهم البيضاء، فترى ملابسهم أبدا ناصعة ساطعة، ويستعملون الطيب ويحرصون على نظافة أسنانهم»⁽⁴⁵⁾

فكان الغالب على ملابسهم الملابس البيضاء، التي تصنع غالبا من الكتان والقطن، وكان اتخاذهم للملابس البيضاء واستحسانها لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « خير ثيابكم البيض تلبسونها في حياتكم وتكفنون بها موتاكم»⁽⁴⁶⁾

وللمكيين اهتمام خاص بالتألق في الملابس وتأثرت أزياء أهل مكة باختلاط أجناس سكانها، فترى مجموعة مختلطة من أزياء البلدان الإسلامية، عمامة هندية وجلباب مصري وجبة شامية، إلا أن طبقة الأشراف فيها حافظت على لباسها فلبس⁽⁴⁷⁾ العلماء والتجار والطبقة المتعلمة فوق الملابس الداخلية شاية عبارة عن جبة مفتوحة تربط بحزام من الوسط لقفلهما، وفوقها جبة واسعة فضفاضة بأكماف واسعة وعلى الرأس عمامة⁽⁴⁸⁾ أما العامة فترى الرجال يوشون ملابسهم بالتطريز، حتى نجد السروال مشغولا على حافة رجليه، والجبة أوالجاكيت من ألوان زاهية، ويتعممون بشال مطرز وملون، وبعد ذلك تغير اللبس، وأصبح جلباباً أبيض في الغالب وتحتته سروال، وقد يلبس كبار السن وأصحاب المناصب عباءة وتغطي الرأس طاقية بيضاء، فوقها شماغ أحمر أو غطره بيضاء وعقال⁽⁴⁹⁾

أما لباس المرأة فكان بصفة عامة يتميز بالبساطة وعدم التعقيد وليس هناك اختلاف بين أزياء النساء العربية في الشكل، وإنما يكون التميز في جودة القماش وكيفية اختيار الألوان وتناسقها مع بعضها، وعند الخروج من المنزل ترتدي المرأة العربية العباءة السادة وهي عبارة عن قطعة كبيرة من الحرير الموسلين الأسود والأحمر⁽⁵⁰⁾.

وصفة الملابس فهي تتكون من ملاءة فضفاضة، وقميص مشقوق عند الرقبة وعليه رداء قصير ضيق يلبس عادة في البرد، وإذا خرجت المرأة من بيتها ترتدي ملاءة طويلة تغطي جسمها وتلف رأسها بمنديل يلف فوق الرقبة⁽⁵¹⁾ ويصور هور خونه لبس المرأة المكية بقوله « ان ملابس المرأة المكية في بيتها متنوعة ومطرز الحواشي بالذهب والفضة وتشد على بطنها حزاما ذهبيا⁽⁵²⁾ وهذا يدل على تحسن الأوضاع الاقتصادية في المجتمع المكي فبعد أن كانت الملابس بها بسيطة أصبحت فيما بعد متنوعة في التصميم والخامات.

من خلال ذلك نجد أن أكثر ما يميز مكة هو التمازج مع الوافدين «المجاورون» والذين يمثلون أحد العناصر السكانية وهم أولئك الذين قدموا من جميع بقاع العالم الإسلامي بقصد الحج واستقروا بمكة على مر القرون واختلطوا بسكان مكة الأصليين⁽⁵³⁾ واندمجوا في المجتمع المكي، وصاروا يكونون جزءا من هيكلها الاجتماعي، إلا أنهم في الأصل ليسوا من طبقة

واحدة، فمنهم أعيان وعلماء وطلبة العلم ومنهم التجار الذين قدموا للتجارة بمكة وبقوا فيها وتزوجوا واستقروا، ومنهم من وفد للاستقرار طلباً للعبادة بجوار البيت الحرام ومنهم المتصوفة والزهاد وهم ينتمون إلى جنسيات مختلفة⁽⁵⁴⁾. وكانت تجارة مكة في الغالب بأيديهم مما جعل الحساسية في أهل مكة تجاههم، لشعورهم أنهم سلبوا كثيراً من مصادر رزقهم، وكان أبناء الجيل الأول من المجاورين يعانون من صعوبة في التفاهم مع السكان الأصليين الذين لهم عاداتهم وتقاليدهم الخاصة بهم، إلا أن الجيل الثاني ما لبث أن امتزج في المجتمع المكي بالمصاهرة والمعايشة إلى أن صار أكثر أهل مكة خليطاً في خلقهم وخلقتهم وهذا الامتزاج قد أدى إلى تنوع الملابس والمأكّل، كما أدى إلى ركافة في لغة المكيين، بعد أن كانت لغة قريش هي العربية الفصحى، ثم دخلت فيها بعض الالفاظ التركية والهندية والفارسية⁽⁵⁵⁾.

الخاتمة :

لقد كشفت لنا كتابات الرحالة الكثير من الحقائق والمعلومات التاريخية والجغرافية، وأوصلت بنا كتبهم إلى عدد من النتائج، من حيث أصالة ودقة معلومات مصنفاتهم وقيمتها العلمية: ولعل من أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

1. مكانة مكة المكرمة الدينية كانت أول سبب لجذب الاستيطان البشري، وذلك لتشوق الكثير من المسلمين إلى كسب المزيد من الأجر والثواب عند الله سبحانه وتعالى، وأدى هذا الاستيطان إلى ازدهار الحياة العمرانية فيها.
2. مثلت مواسم الحج لمعظم سكان مكة المكرمة مصدر رزق لهم، ومنه يجمعون مؤونه بقية العام، ويعد الحج عاملاً رئيساً لتنشيط حركة التجارة والاقتصاد في مكة وتنوع الأسواق، والبضائع نتيجة لما كان يجلبه الحجاج معهم.
3. تمازج المجاورين بالسكان الأصليين شكل لنا مجتمعاً منصهراً في ثقافته، فالحج يعد عنصراً من عناصر حركة السكان، وانتقالهم من مكان إلى آخر، ونلاحظ أن الحج في بعض الأحيان عبارة عن هجرة دولية تنقل أفواج الحجاج، حيث للعامل الديني دوراً كبيراً في اجتذاب هؤلاء الحجاج المسلمين من بقاع الأرض، ليقضوا نسكهم وليستكملوا دينهم، وهو ما أدى إلى زيادة عدد الحجاج ومن ثم استقرار البعض منهم.

الهوامش :

1. الأزرقى: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار تحقيق رشدي الصالح ملحق ط 5 (مكة المكرمة، مطابع دار الثقافة، 1398 هـ / / 1978 م) ج 1، ص 54. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ط 3 (بيروت، دار الكتاب العربي) ج 2، ص 7.
2. أيمان ابراهيم كفي: الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة (رسالة دكتوراه، كلية الشريعة

- والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، 1436هـ/2015م) ص24.
3. ياقوت الحموي: معجم البلدان (لبنان، دار صادر، 1376 هـ/ 1357 م) م5، ص 118.
 4. السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ الدولة العربية تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية وحتى سقوط الدولة الأموية (بيروت، دار النهضة العربية) 240
 5. الازرقى، ص189.
 6. لمكة المكرمة أسماء كثيرة، وردت في كتاب الله سبحانه وتعالى مثل مكة، بكة، أم القرى، البلد الأمين، وذكر الإخباريون لمكة أسماء أخرى، منها النساسة والناسة والباسة لأنها تبس الملحدين، وقيل تخرجهم، وذكرت بإسم أم رحم وأم القرى وسميت معاد والحاطمة، لأنها تحطم كل ما استخف بها، وسميت البيت العتيق لأنه عتق من الجابرة. أبو الوليد محمد بن الله بن أحمد الأزرقى: أخبار مكة المكرمة وما جاء فيها من الآثار، 189، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ص 18، أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه،، دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، (مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، 1414هـ/1994م) ص 280
 7. □ والحاجز والمانع وفي اللغة حجزه «يحجزه» إذا منعه وصدّه عن قصده. فوزان الفوزان: إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة، 1401 هـ/ 1981 م، مطابع الفرزدق التجارية، ص30
 8. حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ط/5 (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف، 1387 هـ / 1967م) ص15.
 9. المرجع السابق، ص 15
 10. رقية حسين نجيم: البيئة الطبيعية لمكة المكرمة، ط 1 (المدينة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1421هـ/2000م) ص 52
 11. المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد مخزوم، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1408 هـ / 1998م). ص98
 12. عاتق غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ط1 (مكة، دارمكة المكرمة، 1400هـ/ 1980م)، ص 223.
 13. الفاسي: شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، ط1 (دار الكتاب العربي) ص297
 14. عمر رضا كحالة: جغرافية شبه جزيرة العرب، مراجعة وتعليق أحمد علي، ط2 (مكة المكرمة، الناشر مكتبة النهضة الحديثة، 1384هـ/ 1464م) ص 158
 15. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص95
 16. القزويني: اثار البلاد وأخبار العباد، ط 1 (بيروت، دار صادر، 1380هـ/ 1960م) ص113.

17. الاصطخري: الممالك والمسالك، تحقيق شفيق غربال (لبنان، دار القلم، 1381هـ/1961م)ص23
18. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (القا،رة، 1340هـ/ 1919 م) ج4، ص258-259
19. فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ط2، (الرياض، مكتبة النصر الحديثة، 1388هـ/ 1968 م) ص 6
20. المقدسي، احسن التقاسيم، ص71
21. سامح ابراهيم عبدالعزيز: الظواهر الطبيعية والأثار العمرانية في مكة المكرمة من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرن الثاني عشر الهجري (مكة المكرمة، كرسي الملك سلمان لدراسة تاريخ مكة، 1435هـ/2014 م) ص53.
22. سورة ابراهيم: ايه37.
23. سورة ابراهيم: ايه37.
24. المقدسي: احسن التقاسيم، ص99.
25. المرجع السابق، ص90.
26. القزويني: اثار البلاد واخبار العباد، ص402.
27. المقدسي: أحسن التقاسيم: ص370.
28. محمد صادق كوكب،: رحلة الحج، منشور في المختار في الرحلات الحجازية، ص648
29. ابن جبير: تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، دار التراث، 1388/ 1399، بيروت. ص100.
30. 30
31. سعاد ابراهيم الحسن: النشاط التجاري في مكة المكرمة في العصر المملوكي (648-923)(رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة م القرى، 1405هـ) ص300.
32. المقدسي: أحسن الأقاليم، ص76-96.
33. المرجع السابق: ص80.
34. حسان حلاق: مكة المكرمة من خلال رحلة ابن جبير وابن بطوطة (بيروت، دار النهضة العربية)ص18.
35. البتنوني: الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر(مكتبة الثقافة الدينية، 1415 / 1995م) ص49.
36. ابن جبير: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص100.
37. البتنوني: الرحلة الحجازية، ص45.

38. عبد الهادي التازي : رحلة الرحلات مكة المكرمة في مائة رحلة مغربية ص 66.
39. الاصطخري: المسالك والممالك، ص ٢٤، المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 8.
40. مشعل نايف الدهاس: الحجاز من خلال كتب الرحالة المشاركة في القرنين الثالث والرابع، ص 269-270.
41. ابن جبير: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص 101.
42. البتنوني، الرحلة الحجازية، ص 49.
43. جارالله بن العز بن النجم بن فهد: نيل المنى بذيل بلوغ القرى، ط 1 (مكة المكرمة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1420هـ/2000م)، ص 38.
44. مشعل نايف الدهاس: الحجاز من خلال كتب الرحالة المشاركة في القرنين الثالث والرابع (مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، رسالة ماجستير، 1429هـ/2008م) 270-271.
45. محمد عبدالله ابراهيم ابن بطوطة: رحله ابن بطوطة تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار (دار إحياء العلوم، بيروت) ص 149.
46. الترمذي: باب الجنائز، ص 28.
47. البتنوني: الرحلة الحجازية، ص 42-43.
48. كرستيان سنوك هور خونيه: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة علي عودة الشيوخ (داره الملك عبدالعزيز، الرياض، 1419هـ/1999م)، ج 2، ص 349.
49. ابراهيم فوزان الفوزان: اقليم الحجاز وعوامل النهضة الحديثة، 344.
50. العز بن فهد: نيل المنى بذيل بلوغ القرى، ج 4، ص 43.
51. أحمد هاشم بدر شيني: مظاهر الحياة الاجتماعية في مكة والمدينة إبان القرن الثامن من خلال كتب الرحالة (المدينة، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، 1426هـ/2004م) ص 77.
52. كرستيان سنوك هور خونيه: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة علي عودة الشيوخ، ج 2، ص 411-413.
53. سكان مكة الأصليون والذين كانوا من قبيلة قريش وبعض القبائل القبائل والعشائر التي استقرت جوار قريش، ومن سكان مكة كذلك بعض الأسماء مثل ال شيببي وبعض العائلات التي برزت في المجالات العلمية وغيرها، أحمد هاشم بدر شيني: مظاهر الحياة الاجتماعية في مكة والمدينة إبان القرن الثامن من خلال كتب الرحالة، ص 60.
54. الفاسي، شفاء الغرام، ج 7، ص 85.
55. البتنوني، رحلة الحجاز، ص 53.